سعد زغلول نصار :

الإذاعة بين فهم الرسالة واقتدار الأداء (*)

عمرت الإذاعة المصرية، منذ إرهاصاتها الأولى التى توجت بمولد الإذاعة الرسمية وبث إرسالها الأول فى مايو ١٩٣٤، حيث تبدأ بعد شهور احتفالات عيدها الماسى - عمرت بنجوم لامعة ملأوا موجاتها وملأوا الحياة الأدبية والفكرية والفنية والإعلامية - خصوبة وعطاءً، منهم من برع وامتاز فى طلاوة الصوت، أو فنون الإلقاء، أو قراءة النشرات الإخبارية، أو التعليقات السياسية، أو الربط فى الأستوديو، أو نقل الإذاعات الخارجية، أو فى كتابة الدراما، أو التعليق السياسى، أو المنوعات، أو فى الإخراج الإذاعى.. من عباءة الإذاعة المصرية خرج الشاعر الأديب، والروائى اللامع، ورائد الأدب الشعبى، واللغوى المجمعى، والمسرحى القدير، والناقد المتميز، ومنهم من جمع بين أكثر من ملكة أو موهبة من هذه المواهب، ومنهم من كان متكاملا دانت له جميع

---

* الأهرام ٢٠٠٧/٩/٢٠، ٢٠٠٧/١٠/٤، ٢٠٠٧/١٠/١٨، ٢٠٠٧/١١/١

هذه القدرات، ومنهم من جاوزها إلى ميادين الأدب والشعر والقصص والرواية والمسرح والتراث الشعبى والنقد والدراسة.. وعندك بالمقال السابق أن أحدثك عن إذاعى فذ وأديب مبدع وكاتب رائع من نجوم الإذاعة اللامعين، اكتملت له هذه المواهب والقدرات، وتجلت فيه عبقرية فهم رسالة الإذاعة، والاقتدار فى أدائها والقيام بها.. متعدد الجوانب، موسوعى الثقافة والمعرفة، ضرب بعطائه وإنتاجه الغزير فى كل باب، لم يترك الشعر الذى نظمه فى سنوات الدراسة، إلا ليرتاد دنيا الأدب والفن والتأليف الدرامى والمسرحى والنقد والترجمة. نويت أن أكتب عنه منذ رحيله عن دنيانا فى فبراير ١٩٩٢ بعد رحلة عطاء طويلة تولى فيها رئاسة شبكة صوت العرب، والمستشارية الصحفية للرئيس الراحل أنور السادات، ووكالة هيئة الاستعلامات التى عاد إليها بعد أن تولى مكتبنا الإعلامى فى استراليا، وآب منها إلى رحاب الإذاعة كاتبا من الخارج بعد بلوغ سن المعاش، فملأ الدنيا حضوراً لافتا، أنعش آمالاً عزيزة فى أن يتواصل عطاؤه الذى افتقدته الإذاعة فى سنوات الغربة، ولكن ملاك الموت اختطفه اختطافاً مباغتا فور وصوله عائدا إلى أرض الوطن من رحلة نهض فيها على تدريب باقة من شباب الإذاعيين بالكويت على فنون وأساليب العمل الإذاعى، عاصرها زميل عمره المرحوم صلاح زكى وعلق عليها - فى تأبين مجلة الإذاعة - بأنه رآه يؤديها باقتدار المتمكن المالك لكفة أسرار المهنة، ويبذل ما لا يقوى عليه أربعة من الشباب !

كان لا بد أن يمضى وقت طويل على رحيله عن دنيانا قبل أن أتمكن من الكتابة عن سعد زغلول نصار.. لألملم شتات نفسى ومشاعرى الحزينة، ولأجمع شتات ماكتبه وهو كثير غزير، ولأتهيأ للكتابة عما خاضه

من بحور لا يستطيع المبحر أن يمسك بزمامها كما أمسك هذا المبدع الموهوب فى تمكن واقتدار..

الإذاعة تخاطب جمهورًا غير محدود من المتلقين، متفاوت العلم والثقافة والمعرفة والأذواق والميول والمشارب.. عليها أن تغطى فى مادتها المبثوثة كل هذه المطالب، فى فهم وقدرة على الصياغة التى تجمع بين الرصانة والتشويق.. هذه الرسالة تتطلب فى الإذاعى فهما ومقدرة على الاستيعاب والأداء.. وكأن سعد زغلول نصار قد خلق للإذاعة التى بثت إرسالها الأول بعد مولده (١٩٣٠) بأربعة أعوام.. كان - رحمه الله - متعدد المواهب متنوع الاهتمام والإنتاج، لم يدع مجالاً إلاّ خاضه وتميز فيه.. لم يكتف بموهبته الصوتية المتميزة، طلاوة وأداءً فى النشرات والإذاعات الخارجية والتعليقات، وفى فنون الإلقاء، بل وفى الغناء الذى صدح به - وهو مذيع - فى ركن الهواة، وإنما امتدت موهبته وأشواقه إلى استيعاب معين هائل من المعارف والثقافات، واتسعت لإنتاج غزير متنوع متميز.. شاعر، وأديب، ومؤلف، وكاتب دراما وسيناريو، وناقد، ومترجم.. موسوعى العلم والثقافة، إنسانى النزعة، ملأ الإذاعة والتليفزيون والحياة الثقافية والأدبية نشاطاً هائلا انعكس فى شعره الذى نظمه وهو لا يزال طالبا.. وفى التأليف، والكتابة الدرامية للإذاعة والتليفزيون، والتأليف للمسرح، والترجمة، والدراسات الأدبية والنقدية والسياسية والإنسانية.. كتب عشرات الأعمال الدرامية للإذاعة وللتليفزيون، ضمت التراجيديا والكوميديا، وتفرعت إلى الأعمال الأدبية والثقافية والدينية والتاريخية.. وألف للمسرح، وللتليفزيون، وكتب فى أدب الرحلات، وترجم العديد من روائع المسرح والقصص العالمى، وكتب مئات المقالات الأدبية والنقدية

والسياسية.. وكان معبرا فى كل ما قدمه عن الفهم العميق لرسالة الإذاعة التى عشقها، واقتدار الأداء مذيعاً أو كاتبا أو مؤلفا أو مترجما أو ناقدا..

إذاعة صوت العرب، وهو أحد مؤسسيها، وتولى رئاستها خمس سنوات، إذاعة ذات طبيعة خاصة، كان الجانب السياسى والفكرى والثقافى والدينى من أهم معطياتها، ولكنها لم تتحوصل وإنما امتد عطاؤها إلى كل المجالات.. مدركةً أن رسالة الإذاعة عريضة بعراضة جمهور المتلقين.. تقدم كل شىء، الكشكول، والحياة والحب والأمل، إلى جوار المادة والتعليقات السياسية، وتقدم المجلة الثقافية، وأضواء على الفكر العربى، وقرأت لك، إلى جوار من هدى القرآن ومن هدى النبوة وذلك الكتاب لاريب فيه وفى مدرسة الرسول، وتقدم ابتهالات وأدعيات يارب ومع الله وبشاير وباسمك اللهم، إلى جانب خريطة المنوعات والغناء والموسيقى والطرب، إلى جوار التواشيح والابتهالات الدينية والقراءات القرآنية.

كان سعد زغلول نصار يفهم حقيقة هذا كله بحاسة متوهجة وثقافة عريضة، ويدفع رياح العمل فى اقتدار يراعى تميز المادة مثلما يراعى التوازنات بين مختلف الوجبات التى تبثها إذاعة صوت العرب إلى المتلقين.

أتيح لى أن أتلامس مع صوت العرب، وأن أكتب إليه ما بين أول الستينيات ومنتصف الثمانينيات كتابة يومية منتظمة، رأيت فيها أديبنا الإذاعى المبدع مديرا لحزمة البرامج العقائدية شاملة الثقافية والدينية فى صوت العرب، يجلس فى حجرة ومعه فيها أمين بسيونى وإبراهيم مصباح ومحمد مرعى وعبد الوهاب قتاية ومحمد الخولى، خلية نحل لا تهدأ، فلا تصرفه إدارة العمل ومراجعة النصوص وزحام الحجرة

والمختلفين إليها عن الكتابة التى عشقها.. لا يدع دقيقة تفوت دون أن يخط برنامجا أو تعليقا أو مسمعا دراميا فى استغراق عجيب، ورأيته بذات هذه الروح يدير كتيبة صوت العرب التى جمعت ألمع نجوم الإذاعة التى ضمت - فضلا عمن ذكرتهم : نادية توفيق وعادل القاضى وصلاح عويس ووجدى الحكيم وأحمد عبد الحميد وسعد غزال وتراجى عباس وأحمد حمزة وحلمى البلك وحمدى الكنيسى وعصمت فوزى ومرفت رجب وحسين أبو المكارم وسوسن النمرسى ومراد كامل وزكريا شمس الدين وكامل البيطار وعلى سعفان ونادية حلمى ونجوى أبو النجا وسهام صبرى ومحمد سناء وعبد الله عمران وعبد الفتاح العدوى ونهى العلمى وتهانى رمضان وسعاد خليل وجابرالشال ومحمود الشال ومحمد غزال وعادل جلال وأحمد شوقى وأمانى كامل وعبد الله قاسم وأحمد الجبيلى.. ووسطهم آنذاك على أول الطريق أمينة صبرى ثم نبيلة مكاوى اللتان تولتا على التوالى إدارة صوت العرب فى السنوات الأخيرة، من هذه الكتيبة من تولى رئاسة الاتحاد ورئاسة الإذاعة ورئاسة التليفزيون، ورئاسة الشبكات بالإذاعة والتليفزيون، فضلا عن إدارة صوت العرب الذى تميزت مدرسته بعطاء خاص ونكهة خاصة كان سعد زغلول نصار أحد أعمدتها المؤسسين الكبار الذى لم يختلف مسلكه رئيسًا عنه مرءوسًا.. لأن العطاء للإذاعة والأدب والفن كان مهجته وشاغله.. إدارة هذه النجوم اللامعة ليست سهلة، إلاّ أن يكون ماسك الدفة صاحب اقتدار يدركه الجميع فى بساطة غير مصطنعة، تعطى للعمل مقامه الأول، ولا تصادر أو تنتقص مكانة كل من هؤلاء لا فى موهبته هو أيضاً، ولا فى قدرته على العطاء والإجادة فى جو عابق بالمحبة وسط خلية نحل لا تنى ولا تهدأ..

يختلف إليها يوميا نجوم لامعة فى الأدب والفن والغناء.. صلاح عبد الصبور، وأنيس منصور، وعلى شلش، وعبد الله الطوخى، وصالح مرسى، ووحيد حامد، وفؤاد بدوى، ومن نجوم الفن والغناء : عبد الحليم حافظ، ومحمد الموجى، وبليغ حمدى، وكمال الطويل، وصباح، وفايزة أحمد، ومحمد سلطان، وحلمى بكر، وصلاح عرام.. الجميع - عاملا ومتعاملا - مشغولون بالعطاء ومقتضياته، فى إحاطة وإتقان يصب فى مصلحة الإذاعة وجمهور المتلقين.

*　　*　　*

فى عمر الإذاعة المصرية الطويل، الذى أشرف على عيده الماسى، حفلت بكثيرين من البناءين العظام، ستذهب أعمالهم الكبرى بددًا، ولن تتاح للأجيال التالية فرصة الإطلال عليها والاستفادة منها، ما لم تقم الإذاعة، أو الاتحاد، أسوة بما تفعل هيئة الكتاب، أو المجلس الأعلى للفنون والآداب، بطبع ونشر المتميز من هذه الأعمال.. وقد قامت الإذاعة بشىء من ذلك حين طبعت فى أشرطة بإحدى شركات الصوتيات - بعض ما كان يقدمه د. حسين فوزى من شرح الموسيقى الكلاسيكية فى البرنامج الثانى.. مهما حاولت خريطة الإذاعة أن تزاوج بين القديم والجديد، فإن الجديد الزاحف بكثرته ومعها إلحاحات أصحابه، جعل القديم يتوارى أو يكاد، وسيظل يتوارى من خريطة البث، مع أنه تضمن أعمالاً نادرة تفوق بكثير جدًا جدًا ما يتاح الآن للبث الجديد.. حفظ هذه الأعمال فى أرشيف أو مكتبة الإذاعة لا يتيح لمن يريد أن يطلع عليها متى شاء.. طبيعة الإذاعة، وتعاملها مع الأثير، تجعل الحاجة مضاعفة لحفظ أعمالها الكبيرة.. طباعة هذه الأعمال الكبرى - ورقيا وصوتيا - هى الكفيلة بحفظ تراث الإذاعة من

الضياع وتيسير الإطلال عليه لضمان تواصل الأجيال على أسس موضوعية راسخة.. راودتنى هذه الأمانى بإلحاح وأنا ألاحق وأفتش وأستقصى التراث الضخم الذى تركه سعد زغلول نصار، فبرغم أن بعضه فى كتب أو فى مقالات منشورة، وبعضه تركه فى نسخ كربونية لم يمهله الزمن أو العمر لطبعها، وبرغم أننى شخصيا كنت معنيا بتجميع ما أستطيع من تراثه، إلاّ أننى على كثرة ما استطعت الوصول إليه، يظل كثير من أعماله الكبرى، سيما الدراما الإذاعية والتليفزيونية ــ معرضًا للضياع..

عبر عمره الإذاعى، من ١٩٥٣، كتب سعد زغلول نصار مئات البرامج المتنوعة، ما بين " ركن الجيش " الذى قدمه فى الخمسينيات بالبرنامج العام، وما بين عدد بغير حصر فى إذاعة صوت العرب : برنامجه الأسبوعى : " من القلب للقلب "، والبرامج اليومية أو الأسبوعية التى كان يتبادل الكتابة فيها : " حوار مع مستمع "، " مع الله "، " قرأت لك "، " دنيا ودين "، " يارب "، " على طريق الهدى والإيمان "، فضلا عن البرامج المستقلة، والتعليقات السياسية.. يبدو أنه لا مناص من أن يذهب هذا التراث الهائل بددًا، فهذا قدر الإذاعيين الذين يتعاملون مع الأثير، وتحت إلحاح الحوادث اليومية، والمتغيرات المتوالية، وتيارات الحياة التى لا تكف عن الدوران.. ولست إلى هذه الأعمال أقصد حين أتحدث عن الأعمال الكبرى واجبة النشر والإتاحة للمتلقين، وإنما أتحدث عن الأعمال الدرامية الكبرى التى تنتهى صلة المتلقين بها بعد إذاعة المسلسل أو التمثيلية، ومن النادر جدًا أن تعاد.. من هذه الأعمال ما اجتمعت له

كل المقومات الأدبية والروائية والدرامية، ومنها ما حمل من حقائق الحياة والتاريخ ما يوجب حفظه من البدد والضياع !

كتابة الدراما الإذاعية، موهبة خاصة، لاتتوفر لكل إذاعى.. قليلون فى تاريخ الإذاعة من دانت لهم هذه الموهبة التى امتلكها سعد زغلول نصار باقتدار بالغ الامتياز، فهى مزيج من موهبة القص والرواية، ومكنة إدارة الحوار، وملكة التصور والخيال المجدول بالقدرة على تجسيده صوتيا.. تتسع هذه المواهب على قدر تنوع المجالات التى يعالجها مؤلف الدراما.. فالحوار التاريخى غير الحوار العصرى، بل وتبعاً لحقبته ومكانه، والحوار الحضرى غير الريفى غير الصعيدى، والحوار بالفصحى غير الحوار بالعامية، والحوار التراجيدى غير الفكاهى أو الكوميدى.. وقد تتداخل فى الأعمال الدرامية الكبرى لهجات الأقاليم والأقطار العربية. ألف سعد زغلول نصار العديد من الأعمال الدرامية للإذاعة المصرية وللإذاعات العربية، وللتليفزيون أيضا. رصيده من هذه الأعمال رصيد هائل.. مسلسلات فى ثلاثين حلقة لكل منها : " مكة أم القرى "، و " المدينة المنورة "، و " الهوامل والشوامل "، و" التوابع والزوابع "، و " الشاعر ابن زيدون "، و " مداعبات تاريخية "، و " اختيار " و " رجل من الشام : العز بن عبد السلام "، و " حدث فى رمضان "، و " الثورة المضادة "، و " محاكمة كوكب متمرد "، و " صيف حار جدا "، و " زعبوط الخديو " و " دراما غزو صدام للكويت " - لإذاعتها ثم للتليفزيون، غير العديد من التمثيليات، كما ألّف الدراما التليفزيونية : " طلع البدر علينا "، و " السندباد "، و " رباعية مصرية " أو " فرسان التراب الأسمر ".. وهذه الموهبة مع القدرة على التجسيد

الدرامى، ودراسته للأدب والفنون والمسرح، مدت إبداعاته إلى المسرح، فألف مسرحية من فصل واحد بعنوان : " مين يقول كده "، ومسرحية : " ولادك يا مصر "، ومثلت على المسرح القومى وعرضت بالتليفزيون.

يبدو لى وأنا ألهث وراء سعد زغلول نصار باحثا منقبا فى أعماله، أن موازناته لما يختار تقديمه تكاد تتوازى مع موازنات الإذاعة نفسها فى تنويع مادتها ما بين الأصالة والمعاصرة، والتراث والحداثة، والدين والفكر، والأدب والثقافة والسياسة، يدل على ذلك تنوع إنتاجه مع غزارته وتفرده، ويدل على أن عينه فيما يختار كتابته كانت متيقظة تعرف ماذا ترى وماذا تختار.. عنايته بالأصالة وإحياء التراث تراها تتجلى فى " الهوامل والشوامل " التى جسدها فى ثلاثين حلقة درامية، مثلما تجلت فى " التوابع والزوابع " التى جسدها دراميا فى ثلاثين حلقة..وكلاهما يختلف - مثلا - عن مسلسل " مكة أم القرى " أو مسلسل " المدينة المنورة ".. فالتاريخ الإسلامى فى هذين المسلسلين أكثر حضورا، بينما الفكر والفلسفة والأدب هى قوام " التوابع والزوابع " مثلما هى أساس " الهوامل والشوامل ".. هذا العمل الأخير مجسد دراميا عما كتبه أبو حيان التوحيدى ومسكويه، فهما شريكان - بلغة العصر - فى كتابة " الهوامل والشوامل " الذى حققه أحمد أمين والسيد صقر عام ١٩٥١ للجنة التأليف والترجمة والنشر.. " الهوامل " : وهو الشق الذى كتبه التوحيدى، معناها الإبل السائمة رمزا لما جعل أبو حيان يطرحه من أسئلة عميقة فى كل باب، يجيب عنها مسكويه تحت عنوان " الشوامل "، وتعنى الحيوانات التى تضبط الإبل " الهوامل " فتجمعها.. ومع قيمة ما أبداه مسكويه من إجابات، فإن القيمة الأساسية فيما طرحه التوحيدى فى " الهوامل " من

إشكالات وفى أسئلة بعضها يفوق فى عمقه ودقته بعض إجابات مسكويه.. عن ذلك يقول أحمد أمين فى تقدمته للكتاب : إن المتأمل فيما طرحه التوحيدى يدرك بوضوح كيف كان " شخصية فلسفية طُلعة تستخلص الأسئلة من كل ما يقع أمامها سواء كانت المسائل خلقية أو اجتماعية أو لغوية أو اقتصادية أو نفسية ".. ولا غرو، فيما يقول، فقد كان له من حب الاستطلاع، والرغبة فى البحث، والتشوف إلى المعرفة، ما جعل منه فيلسوفاً متسائلا يدهش لكل شىء، واستطاع فى " هوامله " أن يكشف عن " عقلية موسوعية ".. وهذا هو بذاته ما شف عنه الموسوعى سعد زغلول نصار، الذى لم يرهب الإقدام على هذا العمل العويص، فبسطه فى دراما إذاعية منسوجة بعناية واقتدار، وتتيحه فى يسر وسهولة لجمهور المتلقين !

مثل هذه الأعمال الإذاعية الدرامية تاريخية أو تراثية أو أدبية، تسرب الثقافة إلى المتلقين فى بساطة ويسر لا ينقصهما التشويق الذى يدفع إلى المتابعة.. وظنى أن أمثال تمثيليات مكة أم القرى، والمدينة المنورة، والهوامل والشوامل، والتوابع والزوابع، وابن زيدون، وغيرها مما ذكرت، تستحضر معانى وقيماً ثقافية وتاريخية، وتوافق أيضا دور صوت العرب والإذاعات العربية التى كانت تهتم بالخطاب العربى ومايستلزمه من لفت إلى التراث والقيم المشتركة بين العرب قبل اجتياح ثقافة التمحور أو التقوقع أو الانسلاخ !

* * *

لم تكن اختيارات التأليف والكتابة الدرامية، خالية من الاختيار المقصود الذى يتناسب مع رسالة الإذاعة بعامة، وإذاعة صوت العرب التى أمضى

فيهـا سعد زغلول نصار معظم عمـره الإذاعى بخاصة. يمم هذا الإذاعى الفذ، والأديب المتمكن، شطر الأندلس ليجدل دراما إذاعية أراد بها - فيمـا أراد - أن تحمل رسالة إلى الأمة العربية.. فى ثلاثين حلقة، كتب سعـد زغلـول نصـار وقدم لإذاعة الكويت، مسلسل " التوابع والزوابع " عن الرسالة التى كتبها شاعر الأندلس ابن شُهيد : أحمـد بن عبـد الملـك.. ذكـره ابن سعيد فـى كتابـه " المُغرب فى حلى المَغرب "، وفصله ابـن بسام فى الذخيرة، وكتب عنه الأستاذ أحمد أمين فى الجزء الثالث من ظهر الإسلام.. وأساس فكرة " التوابع والزوابع " يتفق مع أساس رسالة الغفران للمعرى، والكوميديا الإلهية لدانتى، ويرجح الأستاذ أحمد أمـين باسـتدلال يسوقه - أنها أسبق كتابة بنحو عشرين عاما من رسالة الغفران التى يتفـق النقات على أنها أسبق من كوميديا دانتى.. معنى " التوابـع " : الجن التى تصاحب الإنسان، كالقرين والقرينة.. و " الزوابع " تعنى العواصف وتومئ أيضا إلى رئيس الجن فى مشاهد التوابع والزوابع.. اتخذ ابن شُـهيد هـذه الرسالة وسيلة لبيان آرائه فى الشعراء والأدباء والكتاب، وفى المـشكلات الأدبية.. أدارها على لسان الجن، وحاور بها أطياف من عرض لهم مـن الشعراء والأدباء.. لم يحظ هذا العمل بما حظيت به رسالة الغفران التـى كتبت عنها بنت الشاطئ ولويس عوض وآخرون، ولا بمـا حظيـت بـه كوميديا دانتى.. يبقى محسوبا للكاتب الدرامى أن يخوض الصعب ملتفتـا إلى قيمة الغاية.. فى اقتدار ينضح بحاسته الشعرية وتمكنـه مـن اللغـة العربية وإحاطته بالقضايا الأدبية، صب سعد زغلول نصار هذه الرسـالة فى قالب درامى متميز.. تدور مشاهدها - أو مسامعها - على لسان الجـن وابن شُهيد وشعراء العربية عبر العصر الجاهلى ثم الأموى ثم العباسـى..

امرؤ القيس، وزهير، وطرفة.. وأبو تمام، وأبونواس، والبحترى، والمتنبى.. على لسان الجان وابن شُهيد وهؤلاء، دارت درامـا " التوابع والزوابع " التى اتسعت أيضا بنسيجها الدرامى إلى حكاوى الجاحظ وبخلائه، والكندى وفلسفته، وبديع الزمان الهمذانى ومقاماته، وعبد الحميد الكاتب ومحاوراته.. وفى نسيج درامى مشوق ومجدول بتمكن واقتدار، تقرب من المتلقى زبدة أشعار ومواقف ورسائل وحوارات هؤلاء الشعراء والأدباء.

مع أنسام الأندلس، والنزوع إلى الماضى الجميل الذى كان، وأنغام الشعر، وأطياف الأندلسيات، جدل سعد زغلول نصار فى ثلاثين حلقة مسلسله الدرامى عن ابن زيدون الشاعر الأندلسى الذى يرى أحمد أمين أنه استصفى غزل العباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد، وديباجة البحترى وحسن سبكه ونصاعة أسلوبه، وطول نفس وتدفق ابن الرومى.. اختيار وإبداع سعد لهذا البناء الدرامى، يكشف فضلا عن الإعجاب بالشاعر، وجزالة شعره، عن إلمام بالتاريخ الأندلسى وتضاعيف الحياة الاجتماعية وما صاحب حياة ابن زيدون من منعطفات ما بين حبه لولّادة بنت الخليفة المستكفى، ومنتديات الأدب التى كانت تقيمها ويتصدرها ابن زيدون حتى تغيرت ولّادة وتغيرت معها الدنيا، وانقلب أمل ابن زيدون أن يكون أميرا، إلى غمة السجن ولوعة الهجر فضلا عن إعراض الحبيبة عنه، وما صاحب هذه المنعطفات من نبضات وأنغام الشاعر الذى لم تكف قيثارته عن العزف !.. ترى أى حنين إلى الماضى الجميل شد أديبنا الإذاعى إلى الأندلس ليكتب هذه الدراما المطولة عن ابن زيدون والأخرى عن " التوابع والزوابع " للشاعر الناثر ابن شُهيد ؟!

سيظل العاشقون للأندلس، والذين ينازعهم الحنين إلى الماضى الجميل، يطلون على تاريخ الأندلس الإسلامية، وما ماج فيها عبر قرون فى الحياة السياسية والأدبية والاجتماعية، من خلال المجموعة الشاملة التى وضعها المحامى المؤرخ محمد عبد الله عنان الذى صرف حياته لدراسة الأندلس. تذكرت هذا العملاق وأنا ألاحق أعمال سعد زغلول نصار وأراه، رغم موسوعية ماكتبه وأخرج بعضه بنفسه، ييمم من وقت لآخر شطر الأندلس.. تابعته فى دراما " التوابع والزوابع " لابن شُهيد الأندلسى التى حدثتك عنها قبلا، وتابعته فى دراما الشاعر الأندلسى ابن زيدون.. ما كدت أفرغ من قراءة نصوص هذين العملين الكبيرين اللذين وقعت عليهما فى متروكاته، وكنت قد استمعت لبعض فصولهما فى حياته، حتى وجدتنى أمام دراما مطولة فى ثلاثين حلقة عن " نفح الطيب ".. ونفح الطيب عنوان لموسوعة أندلسية للمقرى، عنوانها الكامل : " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ".. طبعت أولى طبعاتها بمصر بالمطبعة البولاقية ١٨٦٢، وطبعتها الثالثة ١٩٤٩ فى أربعة مجلدات ضخمة.. والمقرى صاحب هذه الموسوعة الأندلسية العربية الكبرى، مغربى المولد.. ولد بتلمسان بالجزائر، قرشى النسب، واشتهر بالمقرى نسبة إلى " مقرة " التى انتسب إليها آباؤه القادمون من المشرق، وهى اليوم من أعمال قسنطينة بالجزائر.. عاش المقرى حياته متنقلا بين المشرق والمغرب العربى، واشتهر بأغنى وأغلى أعماله : " نفح الطيب ".. موسوعة ضخمة لمؤرخ أديب موسوعى النظرة، جمع فيها بين الفقه والحديث والتاريخ والأدب والمحاضرة والمسامرة.. تجلى ذلك فى هذا المطول الذى تخيره سعد زغلول نصار لمسلسله الدرامى الذى ركب فيه الصعب ليقدم السهل

الممتع الذى يسرب إلى المتلقين دنيا كاملة من الأدب والشعر والتاريخ.. متابعاً المقرى فى استطراداته إلى فنون الأدب وصنوف من المسائل المتعددة وذخائر التاريخ ورياض الأسمار وطرائف الأشعار.. ما كان يمكن أن يتصدى لتجسيد هذا العمل الموسوعى إلاّ أديب مثقف موسوعى.. عن المقرى ونفح طيب الأندلس، يقول الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى كتابه عنه ضمن سلسلة " أعلام العرب - إنه جمع فيه من تاريخ الأندلس ومن تاريخ المسلمين فيها ما لا تجده فى كتاب غيره، وأن تأخر زمانه فى القرن الحادى عشر الهجرى أتاح له أن يصل من أخبار الأندلس ما انقطع بعد النكبة التى أصابتها ".. فى هذه الأسفار الأربعة الضخمة التى خاضها كاتبنا الأديب الإذاعى غير هياب، وجسدها دراميا فى تمكن واقتدار، أخبار الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب الشخصية المحورية فى الكتاب وفى المسلسل الدرامى، وتواريخ وأخبار الأندلس وأدبه وأشعاره وأسماره وحيوات أدبائه وشعرائه.. فى اقتدار وتمكن لافت يعالج سعد زغلول نصار وينسج ويجدل مسلسله الدرامى الذى قدمه وأذيع عبر ثلاثين حلقة بإذاعة الكويت التى قدم إليها الكثير من أعماله المتميزة، كتب أيضا لإذاعة الكويت مسلسل " مداعبات تاريخية "، فى (٣٠) حلقة، مزيج من الكوميديا والتاريخ، يدور نسيجه حول مواقف وأقاصيص تاريخية تنضح بروح الدعابة، وتورى بامتلاك المؤلف لفن الكوميديا مع إلمام واسع بالتاريخ مكنه من استخراج ما تخلله من كوميديا المواقف، مثلما مكنه من استخراج المواقف الموحية التى جسدها فى مسلسل " حكايات عربية " الذى جاب فيه المنطقة العربية زماناً وطولاً وعرضا بين شبه الجزيرة العربية والشام والعراق والأندلس، وجدل ما انتقاه فى ثلاثين حلقة عامرة بالقص

والحكى فى قالب درامى إذاعى يعرف كيف يسرب الثقافة والقيم والجسور العربية إلى جمهور المتلقين، كما كتب لإذاعة الكويت، فى (٣٠) حلقة، مسلسل " محاكمة كوكب متمرد ".. تدور أحداثه بين أحد الكواكب الدائرة فى الأفلاك : " كوكب ميجانوس " وبين الأرض.. يدور القص الخيالى فى هذا العمل الدرامى، فيما بين شخصيات من الكوكب المتمرد، وبين شخصيات أرضية استقدموها من الأرض. يتصاعد البناء الدرامى إلى أن يصل إلى مشهد أو مسمع الختام الذى يبلور ما حفلت به هذه الدراما من مسامع ظاهرها الخيال، ولكنها تصب فى واقع أهم القضايا الوطنية الإنسانية.. قضايا العدل والحرية.. وتطرح سؤالاً بالغ الدلالة والإيحاء : هل يستقيم التذرع بالخوف من الخطأ لفرض الوصاية على الناس ؟!.. ما قيمة الحياة إن لم يمارسها الإنسان ؟!.. كم على كوكب الأرض - فيما رأى الكوكب الآخر ــ من حماقات أرضية يمكن أن تودى بالمجموعة الشمسية برمتها إلى الهلاك والفناء !!.. كان تواصل هذا الأديب الإذاعى الفذ مع الإذاعات العربية إلى جانب إذاعة القاهرة وصوت العرب دالاً على انتمائه القومى وعلى امتداد الجسور العربية، وشاهدًا بعمله على أن موهبته اتسعت كموسوعيته لتعبر عن نفسها وتملأ موجات الإذاعات العربية مع الإذاعة المصرية بإبداعاته المتميزة.